

المجلد: 06 / العدد: 02 / ديسمبر (2022)، ص. 218/225

الشاعر الشعبي الجزائري بين الحضور الفعلي والمشاركة الإعلامية في ثورة التحرير الكبرى (1954م/1962م)
منطقة الجنوب الغربي أنموذجا.

Algerian folk poet Between actual presence and media participation in independence great revolution (1954/1962) Case of the southwest zone

د. مصطفى بوخال

mustapha_tahar@yahoo.fr

المركز الجامعي مرسلبي عبد الله / تيبازة.
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/12/02

تاريخ القبول: 2022/04/14

تاريخ الاستلام: 2022/01/05

ملخص:

تحتضر الأجواء الساخنة للثورة التحريرية الكبرى (1 نوفمبر 1954م) في الشعر الشعبي الجزائري في منطقة الجنوب الغربي، باعتبار أن الجماهير الشعبية في هذه الناحية بكل فئاتها قد احتضنت الفعل الثوري في القرى والجبال والمدن والخيما، وكانت كل من العين صفراء، المشربة، البيوض وعسلة تقاط ساخنة حافظت على جذوة الثورة وعزم أهلها على دحر الاستعمار. نحاول في هذه الورقة الكشف عن دور الشاعر الشعبي في تفاعله مع أحداث الثورة ومعاركها مبرزين في ذلك الحضور الفعلي للشاعر في المعارك مع المجاهدين فضلا عن الدور الثقافي والإعلامي الذي قام به حيث أبدع في مدح الثوار ووصف العمليات المسلحة وهجاء الأعداء والمتعاونين مع الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، الثورة، الحرية، المجاهدون، الاستعمار.

Abstract:

Independence great revolution hot events (1st November 1954) are fully present in Algerian folk poetry in the southwest zone. Because people in this area albeit their affiliation have embraced the revolution in the villages, the mountains, the cities and the tents. Ain sefra, Mecheria, El Biodh and Asla were hotspots that kept glowing the revolution's ember and people's grit to vanquish the invader. Our aim in this paper is to unravel the role of the folk poet in his interaction with the revolution events highlighting his real presence and participation in the battles with the Mujahidin besides his cultural and media role in praising the revolutionists and the depicting of armed operations along with satirising enemies and collabos.

Keywords: Folk poetry, revolution, freedom, mujahidin, colonisation.

توطئة:

استقبلت منطقة النعامة صوت الثورة الجزائرية منذ بداياتها بعد الرصاصات والعمليات الأولى التي انطلقت في الشمال. واحتضنت الجماهير الشعبية بكل فئاتها هذا الفعل الثوري التحرري في كل بقعة من الجغرافيا الشبه الصحراوية

للمنطقة، في القرى والجلال وفي المدن والخيام. المشرية، النعامة، العين صفراء، البيوض وعسلة وغيرها كانت نقاط ساخنة حافظت على جذوة الثورة وعزم أهلها على دحر الاستعمار وأقسموا أن تحيا الجزائر. كان الشاعر الشعبي وسط هذا المعترك الثوري التحرري، قد اكتوى بنار العنف الاستعماري وعانى من ظلم واستبداد الإدارة الفرنسية، فتفاعل مع الحركة المسلحة للمجاهدين من أبناء المنطقة، فأبدع في مدح الشوار ووصف العمليات وهجاء (الشميت) الأعداء والمتعاونين من بني جلادته مع الاستعمار. لقد قام الشاعر الشعبي بدور بارز في مجال الإعلام، والتبليغ، فكان ينظم القصيدة ويتغنى بها في كل ميدان من ميادين المعركة، أو يشدها وهو يتجول في القرى والأسواق حيث يتلقاها الزوّاة والحفظة، وبالتالي فقد كان يصوغ أحداث الثورة ومعاركها الضارية شعراً ونشيداً للعبارة واذكاء للحاس في النفوس. في هذه الورقة نحاول تسليط الضوء على هذا الصوت الشعري الذي أبدع في تصوير مجاد أهل المنطقة ضد الوجود الاستعماري من خلال قراءة بعض النصوص الشعرية الشعبية.

1- الشعر الشعبي، المفهوم والأصول:

يُعَدُّ الشعر الصوت المفضل لدى الإنسان منذ أن وطأت قدمه هذه الأرض، وربما كانت اللغة الشعرية هي السبيل الأول الذي سلكه البشر للتعبير عن أفعالهم البدائية وهواجسهم أمام هؤل الطبيعة وغموضها. ويتفق أغلب الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا والميثولوجيا أن أول مغامرة للعقل البشري كانت عبر الأسطورة إذ كانت تُثلى وتُرَدَّد وفق طقوس بدائية وتحت تأثير الإيقاع الذي وسم نصوصها. والإيقاع الذي هو ركن أساسي في القول الشعري هو ما جعل الإنسان القديم يبدع حركات مناسبة لنصوصه الأسطورية في شكل رقص تحوّل مع الزمن إلى طقس متوارث لدى القبائل والشعوب البدائية. ويمكن القول أن هذه العفوية في القول الشعري هي أصيلة في النوع البشري إذ ارتبطت بالجانب العاطفي والشعوري Pathos الذي كان متطوراً في الأزمنة الأولى من التاريخ البشري. وقد خفت هذا الصوت تحت تأثير التفكير العقلاني Logos، بل هناك من عارضه بسبب اعتماده على لغة الانفعال والعاطفة التي تؤدي إلى الانفلات من الضوابط العقلية والأخلاقية، وكان هذا دأب أفلاطون حين أراح الشعراء من جمهوريته.

ومع ذلك بقيت سطوة الشعر ضاغطة على فنون القول جميعاً بفضل عباقرة مثل هوميروس اليوناني الذي أطلق الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الخارقين في إلياذته المشهورة، وقبله الملحمة الشعرية الخالدة لجلجامش الآشوري والملاحم الشعرية الهندية الرمايانا والمهابارتا.

ولم يكن هوميروس الضريع شاعر ذو خلفية معرفية مؤسّسة، بل كان ابن الأسواق والساحات العامة والمفتوحة، في أثينا وغيرها من المدن الإغريقية، تماماً كالشعراء الشعبيين في العصر الحديث الذين اعتادوا على قول الشعر في الفضاءات العامة ومنهم الشاعر الشعبي الجزائري الذي دأب على إنشاد شعره في الأسواق والمقاهي العامة والتجمعات الشعبية المرتبطة بالثقافة التقليدية في الهواء الطلق، مثل موسم "الوعدة".

وقد اعتُبر شعر هوميروس الذي بلغ آلاف الأبيات في كل من الإلياذة والأوديسة معجزة فنية خالدة، وفي نفس الوقت لغزاً عند الباحثين مما جعل بعضهم ينعث تراثه بالمشكلة الهوميرية، وهناك من ينتصر إلى اعتبار هوميروس شاعر جامعي والتراث الشعري الهوميري هو نتيجة لقرينة جمهور من الشعراء الإغريق تداولوا عبر أجيال متعددة على صقل هذه الملاحم الإغريقية الخالدة.

وتتكرر الملحمة الشعرية الشعبية في البيئة العربية في العصر الجاهلي عبر إبداع شعراء مثل امرئ القيس وزهير والنابعة، الذين قدموا للبشرية شعراً عالمياً خارج الأطر الرسمية المعرفية منها والمؤسسية. وكان الشاعر يقول وهو هائم في الصحراء أو متجول في الأسواق أو متردداً على الديار المهجورة شوقاً إلى الحبيب. وفي أحيان كثيرة يتحوّل الشاعر في ذلك الزمن إلى "أداة الحرب القولية، وقد بين ابن رشيقي وظيفته في قبيلته: يحمي أعراضها، ويدافع عن أحسابها، ويخلّد مآثرها، ويشيد بذكورها. فإذا ما ظهرت نذر العداء بين القبيلة والقبيلة، وأخذت كل منها ترمي بسهام الوعيد والتهديد على الأخرى، انبرى المحارب الأولى، فقال (وذاك بن نميل المازني):

رويد بني شيان بعض وعيدكم
تلاقوا غدا خيلي على سفوان
تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغي
إذا ما غدت في المأزق المتداني
عليها الكأمة الغر من آل مازان
ليوث طعان عند كل طعمان².

ويشير الباحث حسين نصار إلى مسألة لغة الشعر الشعبي العربي والتي ارتبطت بتعدد اللهجات المستعملة من طرف القبائل، مما جعل هناك اختلاف بين عربية اليمن في الجنوب ولغة بعض القبائل في الشمال، ولكن ظروف تطور المجتمع العربي بعد نزول القرآن الكريم فرضت على العرب انتهاز لغة تواصل موحدة هي قريبة من لغة قريش ليسهل التفاهم والتعارف ومعهما المصالح الاجتماعية والاقتصادية في ذلك الوقت:

"كان الشعراء الشعبيون ينظمون شعرهم المشهور باللهجات التي يتحدثون هم بها مع أقربائهم.. ولكن اتصال القبائل بعضها ببعض ازداد واطرد في أواخر العصر الأموي، بحيث احتاجت إلى التفاهم على نطاق واسع، فأخذت تنتشر بينها عربية ربما كانت قريبة من لهجة قريش ولكنها مع ذلك تضم شوارد متنوعة من اللهجات الأخرى³. ومع التطور الثقافي والمعرفي للمجتمع العربي يخضع الشعر للقوانين والمعايير اللغوية والبلاغية ويظهر عمود الشعر عند النقاد القدامى مثل ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء"، وكان نتاج الشعراء في ذلك الوقت يخضع للمعايير التي أرسنها التقاليد الفنية في القول الشعري تحت ظلال المعايير النقدية التي أسسها أعلام النقد العربي القديم. ولكن تطوّر المجتمع العربي يأخذ دورة أخرى مع توسع رقعة المجتمع العربي الإسلامي ودخول أُم وأجناس أخرى في دائرة الإسلام، ويظهر اللحن في القول والانزياح في التعبير تحت تأثير التعدد الثقافي والاختلاف في العادات والتقاليد، وعلى إثر ذلك ظهر الشاعر الشعبي بلغته الخاصة متميزاً عن صاحب الشعر الفصيح. ومازالت هذه الثنائية تصاحب الثقافة الشعرية العربية إلى اليوم. فنحن حينما نتحدث عن الشعر العربي، ينبغي التمييز بين الشعر الرسمي أو الفصيح والشعر الشعبي. يقول الباحث الجزائري التلي بن الشيخ في تعريفه للشعر الشعبي ما يلي:

"إن الشعر الشعبي يُطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه، متوارثاً جيلاً عن جيل عن طريق المشافهة، وقائله قد يكون أمياً وقد يكون متعلماً بصورة أو بأخرى مثله مثل المثلثي⁴".

إنّ تناولنا للإشارات السابقة حول التاريخ البشري القديم وارتباطه بالقول الشعري، يفترض عدم انفصال الشعر عن الإنسان طوال الأزمنة المتوالية سواء كان متعلماً أو غير متعلّم، كما يلقي الضوء على البصمة الفنية والجمالية التي كرسها الشاعر الشعبي في تاريخ الشعر العالمي.

2- شعبية الثورة في منطقة الجنوب الغربي:

منذ بداية سنة 1956م تمت هيكلة منطقة الجنوب الغربي بحواضره الرئيسة، العين صفراء، المشرية، البيوض وعسلة وفق تنظيم حوّل هذه الثورة إلى حالة شعبية انطلاقاً من الحمية (الأسرة بالمفهوم الحديث) إلى العرش المتكون من مجموعة من الفروع حيث كل فرع يحوي عدداً من الخلايا.

وتعدّ الخلية اللبنة الأولى لهذا التنظيم والتي تتكوّن من 05 إلى 07 خيام. ويتولّى المحافظ السياسي المعيّن من طرف جبهة التحرير الوطني في مكان القايد لدى فرنسا مسؤولية العرش ويتلقى الاشتراك المالي والتموين بداية من الحمية وبشكل هرمي حتى قيادة الثورة. وتتولى القيادة ضمان احتياجات الثوار في المنطقة بالتنسيق مع المناطق الأخرى في الساحة الجزائرية⁵.

وكان لكل عرش مجموعة من المُستبَلين وهم مجاهدون لهم وظيفة نقل الرسائل وتوجيه الثوار من منطقة إلى أخرى بحكم معرفتهم الدقيقة بجغرافية المكان، فضلاً عن نقل المرضى إلى الحدود المغربية. لم يكن الشاعر الشعبي مشاركاً في الثورة بعاطفته ووجدانه الشعري فقط بل كان منخرطاً في الفعل الثوري، فكان الشعراء منهم المُستَبَلون والسياسيون والمناضلون العسكريون.

وقد حدث أن طلب الثوار وهم في جلسة سمر من صديق لهم كان يقول الشعر: " .. قول يا الشيخ قول.. فردّ عليهم: القول يُجي مع العملية". وهذا دليل على أن الشعر الشعبي الثوري ترجم لغة الرصاص وسقوط الدماء وغبار المعارك. كلف الشاعر المجاهد الشيخ سالم بنقل مجموعة من الرسائل (كولي) من جبل عيسى بمنطقة العين صفراء إلى الحدود الغربية، وفي طريقه أنشد يقول:

"لَيْلَةٌ وَنَهَارٌ دَرَّتْهَا لَكَ يَا عَوْدِي
وَاحْدَمْ فِي حَقِّ الْوُطْنِ بَسَيْفٌ عَلَيْكَ
مَنْ جَبَلِ عَيْسَى عَلَى الصَّفِيَةِ مَتَعْدِي
وَاصْبِخْ فِي تَقْرِى دَخَلَ حُكْمَ الْمَلِكِ "

حوار الشاعر مع فرسه يذكرنا بتقليد شعري عربي قديم يتمثل في مخاطبة الشاعر الجاهلي لفرسه أو بعيره، وتبرز قوة شاعرية هذه الأبيات في تحميل الشاعر مسئولية الوطن والثورة حتى للحيوان مما يضيف للقضية الجزائرية الصبغة الإنسانية وقوة الحق والعدالة بسبب انخراط الحيوان في الفعل الثوري رغم حياديته الطبيعية. لم يكن الشاعر الشعبي الجزائري محاكيا لشعراء قبله وهو يتخير ألفاظا أو صورا بيانية وأساليب بدیعة سابقة، بل كان يقول الشعر بتلقائية وعفوية بسبب أميته وبساطته، ويعتمد على روحه الشاعرية الخالصة ويقدم نتيجة ذلك تشبيهات وصور بلاغية تمتاز بالجدّة والأصالة. وهو يغرف من بحر مفردات اللغة المتداولة ويمتخ من معين عاطفة جياشة كانت قد سقيت جذورها من مياه الدين والوطن.

3- شعراء وثوار:

كانت البدايات العسكرية للثورة في المنطقة مع جمع الأسلحة التي كانت بحوزة الصيادين من أهل المنطقة، فقد أحصى المجاهدون في منطقة عسلة جمع حوالي 54 بندقية (رابعة وخماسية) كانت تستعمل لصيد الحيوان مثل الوحش في جبال عسلة والعين صفراء ثم تحولت وجمّة هذه البنادق إلى العدو الفرنسي بعد اندلاع شرارة الثورة⁷ التحريرية. وبدأ العمل العسكري في المنطقة بتحضير الكائن الهجومية وضرب خطوط السكك الحديدية في مكاليس والبيوض مما أدى إلى سقوط متعاونين مع الاستعمار. ثم تطورت الحركة المسلحة إلى تنظيم عمليات في مواجهة الجيش الاستعماري، ومن أشهر المعارك معركة "جبل عيسى" في منطقة العين صفراء ومعركة "امرغاد" وهو جبل تابع عسكريا إلى منطقة المشربة، وكانت نتيجة المعركة سقوط شهداء تمهدوا لانتصار الشعب والوطن على قوى الظلم والاستعمار.

وفي منطقة عسلة أجبر الاحتلال الفرنسي سكان البادية على الانتقال بصورة تدريجية عبر الضواحي حيث تم تجميع الخيم بواد بوغراة في 1958م ثم بشايب راسه في أوائل سنة 1958م لينقلوا بعد ذلك إلى بلدة عسلة مباشرة أمام مركز ضابط شؤون الأهالي والشكّة العسكرية، ثم طُوق المكان بكامله بالأسلاك الشائكة والحراسة المشددة. ومن المعارك المحمية في هذه المنطقة "معركة جبل بريسط ومعركة جبل شاربخ (1960م) ومعركة سهل الشرشيرة (1961م).

شهد الشاعر الشعبي حمى هذه المعارك وتفاعل معها وجدانا وممارسة، وفي قصيدة "القمرى ولد الحمام" المنسوبة للشيخ سالم، يصوّر فيها حُبّه لجيش التحرير من خلال وصف ملحّي لإحدى المعارك بالمنطقة:

- 1- "بَنْدَى قَوْلِي بِاسْمِ اللَّيْفِ
وَاللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ غِي بِهَا نَهْدَرْ
2- صَلَّى اللَّهُ عَلَى أَحْمَدَ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ
مَنْ صَلَّيْتُ عَلَى النَّبِيِّ رُخْتُ مُحَرَّرْ
3- الْقُمْرِي وَلَدَ الْحَمَامِ نَكْتُبُ لَكَ حَرْفَيْنِ
قَتِيمَا وَعَلَى الْجَيْشِ الْمُحَرَّرِ
4- وَكَدَّ فِيهَا وَوَصَّلَهَا فِي الْحَيْنِ
وَلَسَّافَ الْكَبِيرِ فَاهِ يَنْتَقِرْ
5- يَهْرَاهُ وَيُشَوِّفُ مَا رَانِي نَهْدَرْ
حَسْبُنَا أَنَا زَفِيقُ نَجَاهِ الْمَعِينِ

وجوارخ فارحين والقلب الطاهر

- 6- حتى أنا صَيَّاد والقلب مُدْمَنَرُ
مَنْ صَابَ فِي جِإَعَتِكُمْ يَحْضُرُ
 - 7- خَطَرَةُ خَطَرَةُ يَرْوُخُ لِي بِخَبْرِكُمْ زَيْنُ
كَذَا مَنْ جُودَامُ جَبْدُوهُ مَيْسَرُ
 - 8- كذا من قبطان هارب يا مسكين
وكذا من فسيان طايح يدَعَرُ¹⁰
 - 9- ضَرْبُ المَاضِي يَقْرُضُ الكَافِرَ قَرْضَيْنِ
وَمُنِينُ يَطِيحُ كِي الخَشْبَةِ يَتَكَرَّزُ
 - 10- الجندي يا صحابنا يضرب للعين
ومنين يطيح العدو كي يتخَمَّرُ¹¹.
- القصيدة في مجملها تترجم حنين الشاعر إلى الثوار وتأكيد انتمائه إلى العمل الثوري رغم بعده عن ساحة المعركة:
حسبنا أنا رفيق بجاه المعين
وجوارخ فارحين والقلب الطاهر

...

حتى أنا صياد والقلب مُدْمَنَرُ
مَنْ صَابَ فِي جِإَعَتِكُمْ يَحْضُرُ.

يستهل الشاعر القصيدة باسم " الليف " دلالة على أبجدية اللغة العربية التي ينطق بها ويقول بها الشعر، ويؤكد هويته العربية من خلال هذا الحرف وهويته بوصفه شاعرا:
" والليل مع النهار غي بها نهدر ".
ثم يفتتح القول بالصلاة على النبي ليضيفي على شعره مسحة روحية ويكتسب القول بركة من سيد الخلق أجمعين- صلى الله عليه وآله وسلم- ويشير إلى أن الصلاة على النبي تحرر الإنسان من النار في الآخرة ومن الظلم والطغيان في الدنيا، ويصف الثوار بالجيش المحرر
من الاستعمار وهو تأكيد للمرجعية الإسلامية لحركة الثورة الجزائرية. في البيتين الثاني والثالث إشارة ملفتة إلى العلاقة الوطيدة بين الانتماء الإسلامي الذي يؤدي إلى التحرر وثورة التحرير.
يتواصل الشاعر مع إخوانه المجاهدين في ساحة المعركة مجازا عن طريق طائر القمري.
هذا الطائر اختاره الشاعر لحفته وهو يرمز للحرية وهو القادر على تبليغ هذه الرسالة المملوءة بمشاعر الحب وتأكيد الانتماء. وتصل الشاعر أخبار إخوانه في ساحة المعركة وهم في مواجهة العدو فيفرح لسقوط "جودام" وفرار "قبطان":

كذا من جودام جبده ميسر
كذا من قبطان هارب يا مسكين
وكذا من فسيان طايح يدعشر.

كما تظهر براعة الوصف الصادق لمصارع العدو، فهو يصف مقتل الجندي الفرنسي مرة كسقوط خشبة ومرة كمن يصصره النمر حين يتأيل شاربه قبل السقوط.

4- معركة امرغاد:

في أواخر سنة 1955م اتصلت جماعة من الثوار من منطقة المشربة بإخوانهم المجاهدين من منطقة العين صفراء وطلبوا منهم التمرکز في جبل "امرغاد" للتكوين الثوري وتحضير العمليات المسلحة، وكان هذا الجبل تابع جغرافيا للعين صفراء،

والمعروف عن منطقة المشرية أنها منطقة سهلية وصحراوية منبسطة، ومنذ ذلك الوقت أصبح "امرغاد" تابع ثوريا للمشرية.

وفي أواخر سنة 1956م حدثت معركة كبيرة في جبل "امرغاد" من تنظيم ثوار المشرية وسقط فيها شهداء من الأبطال الأوائل الذين أسسوا نواة الثورة في المنطقة ومنهم الشهيد قدوري النعيمي والشهيد الطالب احمد ولد القايد الميلود¹³. وقد حضر أحد الشعراء هذه المعركة الكبيرة وقال فيها:

1- قصة امرغاد فيه ناض الجهاد
حضرُوا فيها بالطلل زاهيين

ملئ خلقوا وهما في الجبل ساكنين
2- حَمَلَتْ لِرُؤَاكُمْ فِي التَّمَلِّ والجِراد

من بعد الحملة حُضَاؤُ غِي هَارِبِينَ
3- انصُرْنَا يَا رَبِّي عَلَى الْقَوْمِ الزُّفَادِ

وَكَالَيْنَ الْجِيْفَةَ حُضَاؤُ مُتَسَابِقِينَ
4- رَاه لَأَكُوسْتَ طَبْل جَاب الْجُنُودَ وَالزَادِ

وَالْعَسَاكِرَ كَمَلْتَ قَعْدُو غِي الْحَرَاطِينَ¹⁴

5- بَانَبَارَا يَجْرِي وَقَابِضُ الْوَادِ
وَحَلَّى الرُّوزَ مَكْرَكْرَ فِي فَمِ الْقَوَاتِينَ

6- الْإِسْرَنْدِي وَلَدَ اللَّبِيَّةِ وَتَابِعَ الرِّفَالِ¹⁵
فِي يَدِهِ مَاتَرَايَةَ ضَرْبَهَا زَيْنَ

7- نُوْبَةُ نُوْبَةٍ نَحُوزُهُمْ فِي شَعْبَةِ وَادِ
كُلِّ وَاحِدٍ يَكْتُلُ عَشْرَةَ مَدْرِبِينَ

8- يَا الْمَوْلَى الرَّازِقُ يَا الْجَوَادُ تَفَكَّنَا مِنْ
ذَا الْخَوَابَةِ تَمُوتُ فِي الْحَيْنِ

9- فَرَانَسَةُ مِيخُودَةُ وَصَادَةُ بِالْإِنكَادِ
وَذَلَّهَا مَوْلَانَا مِنْ كُونِ فَعْلَهَا شَيْنِ

10- الدِّزَايِرُ زَيْنَةُ وَوُلَاذُهَا وَوَلَادِ
وَعَزَّهْمُ مَوْلَانَا مَنْ كُونِ طَاهِرِينَ¹⁶.

الشاعر يستهل الأبيات بإعلان ثوار المنطقة الجهاد على جبل امرغاد ويقوم بتصوير تفاصيل المعركة الكبيرة بعاطفة ووجدان صادقين باعتبار الشاعر جزء من المعركة:

نُوْبَةُ نُوْبَةٍ نَحُوزُهُمْ فِي شَعْبَةِ وَادِ
كُلِّ وَاحِدٍ يَكْتُلُ عَشْرَةَ مَدْرِبِينَ.

الجيش الفرنسي تحرك في نواحي الجبل بكل آلياته حتى نعتهم الشاعر بعدد التمل والجِراد، ولكن بعد الاصطدام بالثوار تشتت شملهم:

من بعد الحملة حُضَاؤُ غِي هَارِبِينَ.

ويصوّر الشاعر خسارة الجيش في هذه المعركة تصويرا رائعا حين يشير إلى مقتل جل الفرنسيين وبقاء الجنود الأفارقة الذين ينعتهم ب: "الحراطين":

وَالْعَسَاكِرَ كَمَلْتَ قَعْدُو غِي الْحَرَاطِينَ
بَانَبَارَا يَجْرِي وَقَابِضُ الْوَادِ

وَحَلَّى الرُّوزَ مَكْرَكْرَ فِي فَمِ الْقَوَاتِينَ.

في البيتين الأخيرين يجري الشاعر مقابلة بين الظلم والحق وبين وطن حامل لقضية استقلال ينال شعبه العز من الله ودولة استعمار أخذت تاريخ الذل والهوان:
فرانسة ميخوذة وصادة بالانكاد
وذلها مولانا من كون فعلها شين
المزايير زينة و ولادها ولاد
وعزهم مولانا من كون طاهرين.

5- خاتمة:

كان الشعر هو اللغة الطبيعية للبشر في الأزمنة الأولى من تاريخه على هذه الأرض، والأمم الأقل حضارة بدأت التعبير بالشعر، وأي شعور ضاغط يمس روح الإنسان العادي قديما كانت لغة الشعر هي المعبرة عنه.
يمكن القول أن ثورة التحرير المباركة تحولت منذ بداياتها إلى حالة اجتماعية في منطقة النعامة، فامتزج الفعل الثوري بالسلوك والنظام الاجتماعي لكل أفراد الشعب، وأصبحت الخيمة (الأسرة) اللبنة الأساسية للحركة الثورية الشعبية.
فكان الشيوخ والنساء والشباب وقود هذه الثورة وزينتها، بالاشتراك والتموين والعمل المسلح. وقد صوّر الشاعر هذا الوضع بشاعرية كبيرة وتفاصيل مثيرة فضلا عن لغة شعبية تستمد طاقتها الإيحائية من الواقع الشعبي وقوة شخصية الشاعر.

إن النص الشعري الشعبي في هذه المنطقة أصيل ويستمد أصالته من جذوره العربية وأصوله الوطنية الجزائرية، ويظهر ذلك جليا في أشكال النصوص التي لا تشذ عن النصوص الماثلة لها في الأفطار الأخرى من الوطن من حيث العاطفة والمضامين.

" لم يكن الشاعر الشعبي أديبا صناعيا يتفنن في اختيار القوالب الجميلة لكي يؤثر في عواطف الناس، وإنما كان يقول الشعر بطريقة عفوية وتلقائية، ويعيش محنة الاحتلال بكل الأمها وجراحها، ويصور إحساس مواطنيه".
وكان هذا الصوت هو المعبر عن أصالة الشعب وعدالة القضية.
الهوامش:

- 1- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م/1945م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر 1983م)، ص. 100
- 2- حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات إقرأ، بيروت (1980م)، ص. 26
- 3- نفسه، ص. 32
- 4- التلي بن الشيخ، مرجع سابق، ص. 395
- 5- من المجاهدين الأوائل الذين ساهموا في هذا التنظيم الثوري وهيكلته الشعب على سبيل المثال لا الحصر: في دائرة العين صفراء، العيدوني، الغوني، بودلال، الجيلي وآل خليفي. وفي دائرة المشرية، مولاي حميدة، قرني احمد، الحاج محمد قويسحة، الطالب احمد ولد القايد الميلود، وآل دربال. وفي البيوض، الرزاينة غرابة بقيادة داودي محمد. والرزاينة الشراقة بقيادة بن عودة بوغزة. الحديث من رواية الحاج الطاهر بوخال (إطار متقاعد من الأمن الوطني، ساكن بسعيدة، مجاهد وعضو جيش التحرير / منطقة المشرية، الاسم الثوري: بلقاسم. / العمر 85 سنة).
- 6- الشيخ دربال سالم من منطقة النعامة شاعر شعبي ومجاهد، وهذه الحادثة مع الأبيات من رواية الحاج الطاهر بوخال.
- 7- من الشهداء الذين سقطوا إثر هذه الكرائن الهجومية، الشهيد بوخال محمد المدعو "مقيّدش". رحم الله الشهداء.
- 8- ينظر، محمد حيدار، الافريقي صانع ملحمة فروز، مطبعة الشهاب، باتنة/ بدون تاريخ.
- 9- جودام، رتبة عسكرية في الجيش الفرنسي بمعنى: Adjutant
- 10- فسيان، رتبة عسكرية بمعنى: Officier
- 11- القصيدة طويلة وهذا جزء منها من رواية المجاهد الحاج الشيخ بوخال تابع ثوريا لمنطقة المشرية / متقاعد من قطاع التربية الوطنية، ساكن بمدينة النعامة. / العمر 84 سنة.
- 12- رواية المجاهد الحاج الطاهر بوخال الملقب بلقاسم / منطقة المشرية.
- 13- الحراطين هم الجنود الأفارقة السود من المستعمرات الفرنسية.
- 14- الرفال: مدفع رشاش.
- 15- الأبيات من رواية المجاهد الحاج الشيخ بوخال.
- 16- ينظر، العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.

المصادر والمراجع :

- 1- حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات إقرأ، بيروت، لبنان (1980م)، ط2، ص.26.
- 2- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م-1945م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1983م).
- 3- العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (1989م).
- 4- مُحمَّد حيدار، الافريقي صانع ملحمة فروز، مطبعة باتنة، بدون تاريخ.
- 5- المعلومات حول تنظم الثورة عبر المناطق والأقسام والحلايا في منطقة عسلة، العين صفراء والمشرية، من رواية المجاهد الحاج الطاهر بوخال/ الاسم الثوري بلقاسم، إطار متقاعد من الأمن الوطني، السن 85 سنة.
- 6- و القصيّداتان من رواية المجاهد الحاج الشيخ بوخال، إطار متقاعد من قطاع التربية الوطنية، السن 84 سنة.